

## خارطة طريق الوصول إلى علوم إنسانية إسلامية - قراءة في فكر الإمام الخامنئي قده

السيد مهدي الموسوي<sup>(١)</sup>

### تمهيد:

أثبت نظام الجمهورية الإسلامية في إيران نجاحه وتفوقه على الفتن العالمية التي عملت عليها قوى الإستكبار العالمي والأيدي الشرقية والغربية، عقب انتصارات عقد الأزمة وانتهاء الحرب.

وبعدها، انطلقت حركة الإعمار في البلد. ولا شك أنّ مسيرة الإعمار والتطور على الصعيد الداخلي، والقيام بدور على صعيد عالمي، يستلزمان جهوداً حثيثة ومساعي مضنية، ترتكز على فكر عميق يتنااغم مع هذه الأمور، إذ أنّ العلم والفكر يمهدان الطريق، ويكشفان عن سبل التطور والإعمار، ويضمنان خصوص المجتمعات أمام دولة وشعب ما.

وقد تزامنت هذه المرحلة مع القيادة الرشيدة لآية الله العظمى الإمام الخامنئي قده، الذي قاد الثورة وواكبها وفق منهج قويم يعكس استمرارية حركة الإمام الخميني قده، ويراعي مقتضيات الزمان والمكان.

وفي أول بيان للإمام الخامنئي قده بمناسبة الذكرى السنوية للإمام الخميني الراحل قده، بين خطّ الثورة ونهجها، ومدى ارتباطهما بالعلم

(١) باحث من العوزة العلمية في إيران.

والمعرفة: «إن نشر العلم والبحث، والتطور العلمي، وتفتح زهور الاستعدادات البشرية، ونشر الوعي والمعرفة العاميين، هو -أيضاً- من القضايا الأساسية بالنسبة للثورة... إن المجتمع الذي يريده الإسلام هو المجتمع الذي تُستَخرج فيه كنوز فكر البشر ومحضلات أذهانهم، وتستخدم في خدمة الناس، وهذه أثمن ثروة وطنية ممكناً لـ أي مجتمع كان... يجب أن تقتلع الأمية من جذورها... نريد للمدارس أن تضم إليها كل الأطفال والبراعم... نريد أن تزدهر الجامعات والحوظات، وأن تنشط مراكز الأبحاث وتطوّر... وأن يصبح الكتاب سلعة رائجة بين الجميع... وأن تصبح المطبوعات غنية ورافدة للوعي... إن المسافة اليوم بيننا وبين ما يريده الإسلام ويرضى به هي مسافة كبيرة، ولكن باستطاعتنا عبورها... ... يجب أن تثبت الجمهورية الإسلامية اليوم أن فيها ربع تربة النبوغ والاستعدادات العلمية الفريدة، وأن قرنين من سلطة الاستبداد والاستعمار لم تستطعا أن يقضيا على جوهر هذا الشعب. فإذا كان تسلط الاستعمار والاستبداد في القرنين الماضيين قد حال دون بروز الاستعدادات، فيجب اليوم أن يُعوض عن هذا التخلف، ونحن نعيش في مرحلة الحرية ويقطة الشعب؛ وهذا كلّه ببركة الثورة الإسلامية»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا، أبدى الإمام الخامنئي قائلاً اهتماماً بالغاً جدّاً بالتقديم العلمي، ونشر الثقافة العلمية، ورفع مستوى الدور العلمي الوطني في مختلف المجالات، إعلاً لشأن البلد، وتمهيداً لبناء حضارة إسلامية.

ونظراً لاتساع دائرة موضوع العلم والمعرفة، وتشعب إرشادات الإمام الخامنئي قائلاً في مختلف ميادين العلم، سوف نقتصر في هذه

(١) البيان الصادر عن الإمام الخامنئي قائلاً بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام الخميني قديس، بتاريخ: ٢. ١٣٦٩ هـ.ش.

المقالة على معرفة دور الإمام الخامنئي ذَلِكَ اللَّهُ في مجال «تأصيل العلوم الإنسانية»، «والوصول إلى علوم إنسانية إسلامية»، على أن نعرض عن ذكر آرائه في باقي العلوم والمعارف.

وعليه، تتناول هذه المقالة بعض آراء الإمام الخامنئي ذَلِكَ اللَّهُ الفكرية والنظرية المرتبطة بمكانة العلوم الإنسانية وكشف عيوبها، ثم بعدها تكشف عن جهوده ذَلِكَ اللَّهُ الباعثة على استثار الهمم، وسعيه لبناء المؤسسات في المجال العلمي والاجتماعي، وفي الختام تشير إلى السياسات العامة التي رسمها ذَلِكَ اللَّهُ للمرأكز العلمية والثقافية في إيران.

## أولاً: العلم أساس القوّة:

يرى الإمام الخامنئي ذَلِكَ اللَّهُ أن القوّة في عالم اليوم تُبني على أركان ثلاثة:

١. الإمكانيات والثروات النقدية والمالية.
٢. الإمكانيات الإخبارية والإعلامية.
٣. الإمكانيات العلمية والتقنية<sup>(١)</sup>.

لذا، يمكننا أن نتصوّر ثلاثة أنواع من السلطة: الاقتصادية، والثقافية، والعلمية<sup>(٢)</sup>، وعلى النظام الذي يريد أن يكون صاحب رأي ودور في عالم تحكمه القوّة، أن يحصل على هذه الأدوات أو السلطات الثلاث. ولا شك أنّ العلم والمعرفة يلعبان دورين هامّين في صناعة القوّة والسلطة، والإمام الخامنئي ذَلِكَ اللَّهُ نفسه مؤمن بأنّه لا يمكن التأثير في هذه الدنيا من دون علم<sup>(٣)</sup>.

فإذا كان المجتمع يفكّر بالقيام بدور عالمي، دفاعاً عن حقوقه،

(١) من كلام للإمام الخامنئي ذَلِكَ اللَّهُ القاء في لقائه مع مديرى أقسام الإعلام المرئي والمسموع ومسؤوليه، بتاريخ: ١٣٦٩/١٢ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي ذَلِكَ اللَّهُ القاء في لقائه مع الهيئة العلمية للجهاد الجامعي، بتاريخ: ١٣٨٤/٤ هـ.ش.

(٣) روشنای علم [نور العلم] (قراءة في كلمات آية الله العظمى السيد علي الخامنئي ذَلِكَ اللَّهُ، قائد الثورة الإسلامية حول المعرفة وإنتاج العلم)، طهران، دار انتشارات انقلاب اسلامي، ١٣٩٠ هـ.ش، ص ١١٣.

## ثانياً: العلم حق لجميع البشر:

يرى الإمام الخامنئي أن العلم مقوله عابرة للمناطق، ومتاح لجميع البشر، لأنّه تطور ونما في المجتمعات المختلفة، ولا يمكن أن نصدر سند ملكيّته لشعب معين حصراً. «فليس العلم خاصاً بشخص ما أو شعب ما... العلم ملك البشرية، ويدور بين الشعوب من يد إلى يد... وأوروبا المتحضرّة هذه، كانت في يوم من الأيام أسفل حضيض الجهل والضياع، وكان المسلمون كبار علماء تلك الأيام، وهم الذين علموا الأوروبيين... هذا ما قالوه هم، وما زالوا يقولونه، كتبوه وما زالوا يكتبونه... هذا ليس شيئاً مجھولاً نحن ندعّيه... كان العلم في يوم من الأيام في آسيا، وهو اليوم في أوروبا، وسيكون يوماً في مكان آخر... إنّ العلم ملك البشرية جموعاً... وليس العلم بالشيء الذي يمكن أن يقول

(١) روشنای علم [نور العلم]، م.س، ص ١١٤.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي كاظم ألقاه في لقائه مع وزير الثقافة والتعليم العالي ومسؤولي الوزارة ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ١٣٦٩/٥/٢٢ هـ.ش.

شعب إِنَّه لَه وحده وليس للبشرية، لا، فالعلم ملك البشرية، ونحن سنأخذ العلم أينما وجدناه<sup>(١)</sup>.

وقد ذم الإمام الخامنئي مقوله استئثار الغرب بعلوم البشر، وحدّد أسلوب مواجهة هذه الدعوة الجائرة: «لقد سعى هؤلاء إلى الاستئثار بالعلم... وأرادوا من ذلك إبقاء أداة التطور والسيادة لأنفسهم، وقاموا باستغلالها إلى أقصى حد ممكّن لتحقيق السيادة السياسية والاقتصادية... في حين أنّنا لم نر شيئاً كهذا حدث طوال التاريخ الذي انتقل فيه العلم من يد إلى يد»<sup>(٢)</sup>.

ويُستنتج من هذا الكلام أمران:

١. لا يحق للدول الغربية الاستئثار بالعلم والمعرفة.
٢. يجب على الشعوب المسلمة أن لا تتوانى في طلب العلم وتحصيله، بحجّة أنّها علوم غربية.

وبناءً عليه، يرى سماحته أنّه من الممنوع أن تحكمنا العقلية الخاطئة القائلة: إنّ العلم والصناعة والتكنولوجيا والأمور التقنية من مختصّات الأجانب والأوروبيين والغربيين، ولا طاقة لنا بها، بل يجب على كلّ شعب أن يتعلّم، لكي يتمكّن من بناء بلده بنفسه<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: جدلية تطوير المجتمع والعلم:

يرى الإمام الخامنئي أنّ الثورة الإسلامية تشكّل بداية تحول نحو تطوير الشعب الإيراني وازدهاره، وتمهيداً لبناء حضارة إسلامية كبرى، وأنّ المجتمع يستحق وصف الإسلامي؛ عندما يولي اهتماماً خاصاً بالعلم والمعرفة، ويتمكن من حمل لواء العلم والثقافة الأصيلة في كلّ العالم.

(١) من كلام للإمام الخامنئي ألقاه في لقائه مع عوائل الشهداء والفتّيات الشعبية المختلفة، بتاريخ: ١٤٣٧/٩/١٣ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي ألقاه في لقائه مع أستاذة الجامعة، بتاريخ: ١٤٣٨/٧/٢١ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي ألقاه في لقائه مع جمع من عوائل الشهداء والفتّيات الشعبية المختلفة، بتاريخ: ١٤٣٧/٩/١٢ هـ.ش.

فإذا استطاع البلد أن يتطور في مجال العلم والتقنية، ويتمكن من استغلال الاستعدادات والإرث الثقافي والتراث الغني بالشكل الصحيح، وأن يكون ذا دبلوماسية دولية قوية، فسيتمكن عندها من الوقوف في وجه الغرب<sup>(١)</sup>. لذا، فالمجتمع الإسلامي هو المجتمع النابض بالعلم، وهو مجتمع يبني كل أبنيته ويرفعها بالعلم<sup>(٢)</sup>.

ويعتقد الإمام الخامنئي كاظم الله أن الأيدي الفارغة التي لا تحمل العلم لا يمكن أن تنجز شيئاً<sup>(٣)</sup>. ومن هنا، كانت رسالة كسر جدران الجهل والوصول إلى التطور العلمي بمثابة الرسالة الكبرى التي يجب أن تحملها كل فئات المجتمع، وأن تشكل القضية الأولى والأهم بالنسبة للجامعيين والجذريين وأصحاب العلم ووسائل الإعلام<sup>(٤)</sup>. فإذا لم نستثمر اليوم في العلم ونناصره ونسع للحصول عليه، فإن غدنا سيكون مظلماً. وإذا لم نمتلك العلم، فسنعاني غداً من التخلف في الاقتصاد والصناعة والإدارة والقضايا الاجتماعية<sup>(٥)</sup>.

#### رابعاً: منزلة العلوم الإنسانية بين العلوم:

يعتقد الإمام الخامنئي كاظم الله أن «ما يحفظ البلد ويصونه ليس السلاح والآلية العسكرية فقط، بل الإيمان والعلم، وتفتح استعدادات الشعب والشباب في مختلف التخصصات العلمية، ومنها: العلوم الإنسانية التي تقوى الشعب وتتصونه في مواجهة أعدائه»<sup>(٦)</sup>.

لذا، « علينا أن نشعر العزة في أنفسنا في جميع التخصصات

(١) روشنای علم [نور العلم]، م.س، ص ٧٤.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع عوائل الشهداء، بتاريخ: ٢/٢/١٣٨٤ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع وزير الثقافة والتعليم العالي ومسؤولي الوزارة ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ٥/٢٢/١٣٩٥ هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعة، بتاريخ: ٧/٢١/١٣٨٤ هـ.ش.

(٥) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في تجمع طلاب وأساتذة جامعة صنعتي أمير كبير، بتاريخ: ٩/١٢/١٣٧٩ هـ.ش.

(٦) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع علماء ورجال الدين في كرمان، بتاريخ: ١١/١٠/١٣٨٣ هـ.ش.

العلمية بكل ما للكلمة من معنى، علينا أن نصل إلى مرحلة نشعر معها، بصفتنا شعباً ومجتمعاً، أننا منتجون للعلم، ومن أصحاب الفتوحات العلمية<sup>(١)</sup>.

ويؤكّد سماحته<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> على أن «العلم ليس منحصراً بالعلم المادي والعلوم الطبيعية فقط؛ فالعلوم الإنسانية شيء مهم جداً وليس أقل منها، من قبيل: علم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة»<sup>(٢)</sup>.

ولا تقتصر مسألة إنتاجية العلم عند سماحته<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> على العلوم الأساسية<sup>(٣)</sup> والاختبارية فحسب، بل تشمل جميع العلوم، ومنها: الإنسانية...

وفي صدد تقويمه<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> لحركة إنتاجية العلم في مجال العلوم الإنسانية لدى المسلمين، يفيد بأنّها لم تكن حركة لائقة وجيدة، كما كان متوقعاً<sup>(٤)</sup>.

وينظر الإمام الخامنئي<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> إلى العلوم الإنسانية بوصفها أحد الأركان الأساسية في ثقافة المجتمع، حيث يجب في الهندسة الثقافية إيلاء العلوم الإنسانية عناية خاصة. كما يجب الاستثمار في هذا المجال، فكريًا، علميًا، ومالياً، وإعلامياً في البلد، لكي تمضي عجلة إنتاجية العلوم الإسلامية قدماً<sup>(٥)</sup>.

ويكمن سرّ اهتمام الإمام الخامنئي<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> بالعلوم الإنسانية بنوع رؤيته لموضوع الثقافة والتطور؛ فهو يرى أن كلّ العلوم والتحولات الاجتماعية والثقافية أساسها فكر الإنسان، فالإنسان هو نفسه المؤثر في التحولات

(١) من كلام الإمام الخامنئي<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> ألقاه في لقائه مع وزير العلوم ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ١٢٨٢/١٠/١٧ هـ.ش.

(٢) من كلام الإمام الخامنئي<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> ألقاه في لقائه مع وزير العلوم ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ١٢٨٢/١٠/١٧ هـ.ش؛ من كلام الإمام الخامنئي<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب الجامعة في كردستان، بتاريخ: ١٢٨٨/٢/٢٧ هـ.ش.

(٣) المقصود هو: علم الأحياء، الكيمياء، الفيزياء (Fundamental Sciences).

(٤) من كلام الإمام الخامنئي<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> ألقاه في لقائه مع جمع من أساتذة الجامعات من أنحاء البلد، بتاريخ: ١٢٨٢/٨/٨ هـ.ش.

(٥) من كلام الإمام الخامنئي<sup>فاطمۃ الرحمۃ</sup> ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة الإمام الصادق علیه السلام، بتاريخ: ١٢٨٤/١٠/٢٩ هـ.ش.

والتحفيزات الاجتماعية. ولهذا كانت الرؤية الكونية التي يحملها الإنسان وكذلك رغباته تؤثر تأثيراً كبيراً على الأحداث. ومن هنا، باتت العلوم الإنسانية هي التي تحدد ووجهات العلوم الأخرى وأهدافها، بسبب ارتباطها الوثيق بفكر الإنسان وعقيدته.

لذا، «إن ما يُقال من أن تطور العلوم يكمن وراءه تطور الفكر، وأن بداية تحول الشعوب هي في الأصل حاصل الفكر والعقيدة قبل أن تكون نتيجة العلم والتجربة، هو كلام صحيح وثابت. ولهذا أنا أتعامل مع موضوع العلوم الإنسانية بحساسية»<sup>(١)</sup>.

ويستنتج من مجموع كلمات الإمام الخامنئي حفظه الله أنه يعتبر العلوم الإنسانية مسؤولة عن عدّة أمور مهمة:

إن العلوم الإنسانية هي روح المعرفة والإطار الأهم للعلوم البشرية، سواءً أكان منها الإنسانية أم الطبيعية، لأن «جميع العلوم والحركات الكبرى في المجتمع تشبه الجسد الواحد، والعلوم الإنسانية هي بمثابة الروح لهذا الجسد. والعلوم الإنسانية هي التي ترشدنا وتحدد لنا الجهة التي يجب أن نتحرك نحوها، والهدف الذي تنشد المعرفة. وعندما تنحرف علومنا الإنسانية، وتُبنى على أسس معوجة ورؤى كونية [أيديولوجيات] سقيمة، فسوف تسير تحركات مجتمعنا كلها في خط انحرافي»<sup>(٢)</sup>.

إن كثيراً من الأحداث في العالم - سواءً أكان ما يتعلّق منها بالأمور السياسية أم الاقتصادية أم غيرها - هو حصيلة الآراء المطروحة في العلوم الإنسانية، «فنحن بحاجة إلى تكوين نظريات في العلوم الإنسانية، لأن الكثير من الأحداث في العالم، حتى في مجال الاقتصاد والسياسة وغيرهما، تابع لآراء أصحاب الرأي في العلوم الإنسانية، في الاجتماع

(١) من كلام للإمام الخامنئي حفظه الله القاء في لقائه مع جمع من طلاب الجامعات، بتاريخ: ١٣٩٠/٥/١٩.هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي حفظه الله القاء في لقائه مع جمع من المتقوّفين وال منتخب العلمية، بتاريخ: ١٣٩٠/٧/١٣.هـ.ش.

والنفس والفلسفة، فهو لاء هم الذي يحددون لنا الشواخص [التي يجب أن نتحرّك على أساسها]<sup>(١)</sup>.

احتياج إدارة البلد إلى عدة علوم، ومنها: العلوم الإنسانية، «فعدما نتحدث عن العلم، من الممكن أن تخطر على البال العلوم المرتبطة بالصناعة والتكنولوجيا بالدرجة الأولى - وهذا ما ينصب عليه اهتمام الجامعة بشكل أساس - بينما أنا أتحدث في هذا الموضوع بعمومه وعلى إطلاقه. فإن العلوم الإنسانية، والاجتماعية، والسياسية، الاقتصادية، وغيرها من الموضوعات المتنوعة التي تحتاجها بشكلها العلمي من أجل إدارة البلد [هي بحاجة إلى الابتكار والتجديد الفكري العلمي، أي الاجتهاد]<sup>(٢)</sup>.

إنّ أعلام العلوم الإنسانية هم الأكثر تأثيراً وشهرةً من أعلام العلوم الأخرى، وإذا أصبحتم من النخب في العلوم الإنسانية، كالتاريخ، والاجتماع، والنفس، وتطورتم فيها، فاعلموا أنّ قدركم في المجتمع وعلى الصعيد العالمي بالتأكيد لن يكون أقلّ من طبيب محترف، بل سيكون أعظم... لاحظوا الآن الشخصيات العلمية المعروفة في العالم، كم منهم من الأطباء، وكم منهم من علماء اجتماع أو من المؤرخين... سوف ترون أنّ الصنف الثاني هم الأكثر عدداً وبروزاً<sup>(٣)</sup>.

#### خامساً: خصائص العلوم الإنسانية :

يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ العلوم الإنسانية هي نوع خاصٌ من المعرفة، يختلف في كثير من الأمور مع العلوم الأساسية والطبيعية، ويعدّ المواجهة القائمة بين العلوم الأساسية والعلوم الإنسانية إحدى الآفات الكبرى في نظام البلد التعليمي<sup>(٤)</sup>.

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعات شيراز، بتاريخ: ١٤٢٨/٢/١٤.هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع طلاب وأساتذة جامعة صنعتي أمير كبار، بتاريخ: ١٤٢٩/١٢/٩.هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع نخب الشباب، بتاريخ: ١٤٢٨/٦/٢٥.هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أعضاء شورى الثورة الثقافية، بتاريخ: ١٤٢٤/١٠/١٢.هـ.ش.

ويمكننا أن نستنتج من مجلد كلام الإمام الخامنئي ذلِكَ لِللهِ عَزَّ ذَلِكَ لِللهِ عَزَّ عدّة من خصائص العلوم الإنسانية التي لها دور مهمٌ في كشف عيوب الدراسات الغربية في العلوم الإنسانية، ونحو اختلافها مع العلوم الإنسانية الإسلامية، ومنها:

العلوم الإنسانية هي حصيلة التساؤلات التي يطرحها المجتمع: فهي ليست كالعلوم الطبيعية قائمة على معرفة الأشياء الفيزيائية، بل هي علوم تاريخية ومرتبطة بالهوية، تنهض نتيجة ل حاجات كل مجتمع ومقتضياته. ولذا، يذهب الإمام الخامنئي ذلِكَ لِللهِ عَزَّ ذَلِكَ لِللهِ عَزَّ إلى أن العلوم الإنسانية هي حصيلة الإجابات عن التساؤلات والاحتياجات الأساسية في أي مجتمع من المجتمعات.

وبما أن هناك أسئلة أساسية خاصة بكل مجتمع، بحيث تتوافق مع ظروفه التاريخية الخاصة، وتتكفل العلوم الإنسانية بالإجابة عنها، فلا يمكن تصور انتقاض مجتمع بأسئلة مجتمع أجنبي، ما لم تكن حاجات ذلك المجتمع الأساسية والأصلية تدور في فلك ذلك المحور. ومن هذا المنطلق، فإن العلوم الإنسانية الغربية ناظرة إلى المجتمع والإنسان الغربي، وهي وبالتالي غريبة عنا، ولن تنفع إرشاداتُها وأساليبها مجتمعنا.

إن «العلوم الإنسانية مهمة، لكن العلوم الإنسانية التي لدينا اليوم ليست أصلية... ليست لنا... لا تأخذ حاجاتنا بعين الاعتبار... لا تستند إلى فلسفتنا، ولا إلى معارفنا... إنها ناظرة في الأساس إلى قضايا أخرى، ولا تحل مشاكلنا... هؤلاء أشخاص طرحو مشكلة، وعشروا على حل لهم، لا دخل لنا بصحّته أو خطئه حتى، فهي قضية غريبة عنّا من الأساس»<sup>(١)</sup>.

العلوم الإنسانية قائمة على الرؤى الكونية والقيم الحاكمة في

(١) من كلام للإمام الخامنئي ذلِكَ لِللهِ عَزَّ ذَلِكَ لِللهِ عَزَّ القاء في لقائه مع أساتذة الجامعة، بتاريخ: ١٤٣٨/٦/١٤ هـ.ش.

المجتمعات: يرى الإمام الخامنئي كاظم الله أنَّ العلوم الإنسانية المتولدة في الغرب، تقوم على رؤية كونية مادّية، فارغة من الأديان والقيم الإلهية<sup>(١)</sup>، فالكثير من مواضيع العلوم الإنسانية قائمة على فلسفات مادّية المبني، مبنها: اعتبار الإنسان حيواناً، وانعدام مسؤولية الإنسان تجاه الله تعالى، فقدان النظرة المعنوية إلى الإنسان والعالم<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني أنَّ لديها كلاماً آخر، وهدفاً آخر<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا المنطلق كان تحويل العلم في العالم الغربي إلى أداة لاستعمار الشعوب واستثمارها، ناتجاً عن هذه الميزة في العلوم الإنسانية؛ فأيديولوجيا فصل العلم عن القيم الإلهية<sup>(٤)</sup>، إضافة إلى حبِّ المصلحة الشخصية وحاكمية رأس المال، بصفتها أيديولوجيا حاكمة على السلوك الأوروبي والغربي<sup>(٥)</sup>، أعطت العلم وجهة استعمارية، فاستُخدم لفتح البلاد، واستعمار الشعوب.

كذلك، فإنَّ من علامات تأثُّر العلم الغربي بالثقافة والقيم الحاكمة، النسبية والتشكيك في الأصول العقلية والأخلاقية وحتى العلمية<sup>(٦)</sup>.

إنَّ العلم الحاكم اليوم في الغرب ليس دعاية، وليس بالأمر الصغير... إنَّ العلم الغربي هو ظاهرة تاريخية قلَّ نظيرها، ولكنَّ هذا العلم استُخدم طوال السنوات المتمادبة في سبيل الاستعمار، والاستعباد وتملُّك العبيد، وفي سبيل الظلم، ونهب ثروات الشعوب، واليوم ترونهم ماذا يفعلون... كلَّ ذلك ناتج عن الفكر السقيم، والنظرة والرؤية الخاطئتين، والتوجُّه الخاطئ، وقد جرى استغلال العلم في سبيل هذه

(١) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع جمع من طالبات علوم القرآن، بتاريخ: ٧/٢٨ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ٦/٨ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع طلاب وأساتذة وفضلاه الحوزة العلمية في قم المقدسة، بتاريخ: ٧/٢٩ هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ٩/٢٦ هـ.ش.

(٥) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع ضيوف المركز العالمي للعلوم الإسلامية، بتاريخ: ٢/٢١ هـ.ش.

(٦) من كلام للإمام الخامنئي كاظم الله ألقاه في لقائه مع طلاب وأساتذة جامعات محافظة كرمان، بتاريخ: ٢/١٩ هـ.ش.

الأهداف على الرغم من عظمته، وشرفه، وعزته وكرامته<sup>(١)</sup>. فالعلم -إذن- إنما يستطيع أن يلبي حاجات الشعب، حينما يكون منسجماً مع نظام القيم في ذلك المجتمع، وإلا لن يستطيع تحقيق مطالبه وغاياته، وإذا كانت العلوم السياسية والاقتصادية أو الفلسفية والإدارة وسائر العلوم الإنسانية، مستندة في النهاية إلى الرؤية المادوية للدنيا، وبُنيت وفق القيم المادوية، فمن الطبيعي أن لا تستطيع تلبية حاجات وغايات المجتمع المسلم المؤمن بالمعارف الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

العلوم الإنسانية قابلة للتكميل: ينظر الإمام الخامنئي عليه السلام - من منظار رؤيته التكاملية - إلى العلوم البشرية على أنها تسير نحو التكامل، بسبب تطور العلم وتجربة البشر. ولهذا، فإن كثيراً من الأمور التي كانت تستخدم أصبحت قديمة واستبدل بها غيرها. عليه، يجب إلقاء ما استبدل جانباً، ومواكبة ركب حركة العلم<sup>(٣)</sup>.

وينتقد الإمام الخامنئي عليه السلام الأشخاص الذين يتمسكون بالأراء والنظريات العلمية التي أصبحت اليوم جزءاً من الماضي، حيث عفت سنوات طوالاً على استبدال النظريات الحاكمة على مراكز الاقتصاد في العالم، وهناك كلام جديد متداول الآن، ولكن هناك مجموعة تبقى عينها على تلك النظريات القديمة البالية، عندما تريد أن تخطط في الأمور الاقتصادية! فهو لاء لديهم مشكلتان: الأولى: أنهم مقلدون، والثانية: أنهم غافلون عن التحولات الحديثة<sup>(٤)</sup>.

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع جمع من النخب العلمية والمتخصصين، بتاريخ: ١٣٩٠/٧/١٢ هـ.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع الطلاب الجامعيين في الحادي عشر من شهر رمضان، بتاريخ: ١٣٨٩/٥/٢١ هـ.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع نخب الحوزة العلمية في قم المقدسة، بتاريخ: ١٣٧٤/٩/١٢ هـ.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع شباب وأساتذة والمعلمين وطلاب جامعات محافظة همدان، بتاريخ: ١٣٨٢/٤/١٧ هـ.

**سادساً: النظرة التقليدية، آفة العلوم الإنسانية :**

يعتقد الإمام الخامنئي دامَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاطَّلَّ عَلَيْهِ الْمَرْضَى أن أهم الآفات التي تحدق بالعلوم الإنسانية تأتي نتيجة قلة الاعتناء بالخصائص الثلاث الآتية الذكر للعلوم الإنسانية، فالعلوم الإنسانية. كما مرّ. مقوله تاريخية منبثقة عن حاجات المجتمعات البشرية وتساؤلاتها، التي تنبع [أي المجتمعات] طريقة خاصة فيما يتعلق بالرؤية الكونية والقيم الحاكمة في المجتمع، كما أنّ العلوم الإنسانية تسير في مسيرة تكاملية. لذا، لا يمكن الاكتفاء بمحض التقليد والترجمة.

إنّ أهم آفة تعانيها العلوم الإنسانية هي النظرة التقليدية المضططة إلى النتاجات العلمية الغربية، حيث أدى هذا التقليد والوقوف عند حدود الترجمة، دون التجربة على النقد والإبداع العلمي، إلى تحول النظريات الغربية إلى ما يشبه «الصنم» عند بعض الأساتذة، الذين يعتبرونها وحيّاً منزلاً، ويعطونها مكانة وكأنّها لا تمسّ<sup>(١)</sup>، فيتعاملون معها كالمقدّسات التي يجب عبادتها، والتي يكفر من يوجه إليها أيّ نقد أو يضعها تحت مجهر التقويم. فباتت نظريات علم الاجتماع الغربية عند بعضهم بمنزلة القرآن، بل أرفع منزلة... فلان، عالم الاجتماع قال: كذا... هذا غير خاضع للنقاش! لماذا؟!<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أنّ هذه النظرة يمكن أن تترك بعض الآثار التربوية السلبية، منها:

- الجمود والتحجّر على العلم الغربي، والتعصّب له<sup>(٣)</sup>.
- احتقار الذات، والاستعلاب في مقابل الغرب<sup>(٤)</sup>، واعتبار الإنسان الشرقي غير مؤهّل للابتکار وإنتاج العلم<sup>(٥)</sup>.

(١) من كلام للإمام الخامنئي دامَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاطَّلَّ عَلَيْهِ الْمَرْضَى ألقاه في لقائه مع أعضاء نادي أهل القلم، بتاريخ: ١٢٨١/١١ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي دامَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاطَّلَّ عَلَيْهِ الْمَرْضَى ألقاه في لقائه مع الأساتذة والطلاب الجامعيين في كردستان، بتاريخ: ١٢٨٨/٢ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي دامَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاطَّلَّ عَلَيْهِ الْمَرْضَى ألقاه في لقائه مع أعضاء نادي أهل القلم، بتاريخ: ١٢٨١/١١ هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي دامَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاطَّلَّ عَلَيْهِ الْمَرْضَى ألقاه في لقائه مع طلاب الجامعة من أنحاء البلد، بتاريخ: ١٢٨٧/٧ هـ.ش.

(٥) من كلام للإمام الخامنئي دامَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاطَّلَّ عَلَيْهِ الْمَرْضَى ألقاه في لقائه مع شباب وأساتذة ومعلمين وطلاب جامعات محافظة همدان، بتاريخ: ١٢٨٢/٤ هـ.ش.

وعليه، ليس مجرد ترجمة الأعمال الغربية عملاً مذموماً؛ فالأعمال المهمّة والفاخرة يجب أن تترجم، ولا مانع من قراءتها ودراستها<sup>(١)</sup>، لكن المشكلة الأساس والأفة الكبرى تكمن في الانبهار بالنظريات الغربية، وترويج فكر وذوق وروح الترجمة والتقليد، التي تؤول في النهاية إلى سلب قدرة الشعب على الابتكار، وتسلبه شجاعة طرح الأفكار الجديدة. فقد «ظلوا يقرعون رأس الإنسان الشرقي ويلقنونه دوماً: أنه إذا أردت أن تحقق شيئاً، وأن تصبح بشراً، يجب أن تعمل كما عمل الغربيون، وأن لا تحيد عنه قيد أئمة! لم يسمحوا بالابتكار والإبداع والخلقية العلمية... إن العلم والفكر أمران لا بد أن يُنتجَا<sup>(٢)</sup>. كما أن احتقار الذات هذا يؤدي إلى الغفلة عن الطاقات الوطنية والثروات الإسلامية الغنية<sup>(٣)</sup>.

#### سابعاً: أساليب إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية:

إن الدولة التي تدّعي أنها تعمل على بناء حضارة، عليها -إضافة إلى إفادتها من إنجازات الآخرين العلمية- أن تشّد العزم على الخلاقية، والإبداع، وإنجازات العلمية الجديدة، وأن تسير على طريق إستراتيجيةٍ نهضة علمية في جميع المجالات.

لذلك، بدأ الإمام الخامنئي قائلاً منذ السبعينيات<sup>(٤)</sup> بإطلاق طروحات جديدة في المجال العلمي والثقافي، وذلك تحت عناوين مختلفة، منها: حركة البرمجة، ونهضة إنتاج العلم، والتفكير الحر، من منطلق أنه لا يليق بالحركة العظيمة التي تقودها الثورة الإسلامية أن تكون مقلدة، وأن لا تستطيع الابتكار، واحتزاع الأفكار في المجالات والأبعاد المختلفة، وفق ما تتطلّبه إدارة المجتمع والبلد بأسلوب علمي، وهي المنادبة ببناء

(١) من كلام للإمام الخامنئي قائلاً لقاءه مع الشباب في محافظة أصفهان، بتاريخ: ١٢٨٠/٨/١٢ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي قائلاً لقاءه مع الشباب في محافظة أصفهان، بتاريخ: ١٢٨٠/٨/١٢ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي قائلاً لقاءه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ١٢٨٨/٦/٨ هـ.ش.

(٤) سبعينيات القرن الهجري الشمسي، السنة الهجرية الشمسية الحالية هي ١٣٩١.

النظام، وبناء الدولة والحضارة، وفق المبني والأصول والقيم الجديدة، غير الشبيهة بالغرب أو الشرق.

لذلك، « علينا أن نصل إلى درجة الاجتهد في العلوم الإنسانية، وأن لا يبقى مقلدين<sup>(١)</sup>، «الابتكار، وإنتاج العلم في جميع المجالات والعلوم، وخاصة في العلوم الإنسانية هو أمر ضروري، والأمر كما يقول الضالعون في العلوم الإنسانية: لا نعدو كوننا مترجمين للأراء الغربية. لقد ذكر أولئك أموراً وكتبواها، فذكرناها بعينها في مراكزنا التعليمية، ودرستها وكررناها. وعليه، يجب أن نفسح المجال في الابتكار والإبداع، فلدينا أشخاص مميزون، يستطيعون أن يقدموا أشياء جديدة في بعض العلوم الإنسانية؛ كالفلسفة - مثلاً - فال المجال فيها واسع»<sup>(٢)</sup>.

## ثامناً: أهمية عامل الاجتهد في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية :

قسم الإمام الخامنئي ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُ العلوم الإنسانية إلى قسمين، هما<sup>(٣)</sup> :

القسم الأول: العلوم ذات الركائز المتتجذرة في ثقافة ماضينا.

القسم الثاني: بعض العلوم الإنسانية التي لم توجد في تاريخنا، وبوصفها علمًا، وهي أحد نتاجات الغرب، أي أدى تطور الغربيين في المجال العلمي إلى اختراع هذه العلوم، كعلم النفس وغيرها.

ويرى الإمام الخامنئي ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُ أنه يجب تقوية القسم الأول ذي الجذور المتأنصلة في الثقافة الإسلامية العريقة والعميقة، وتطويره والاستفادة منه في تقويم علوم القسم الثاني ونقدتها واختبارها، وأن مخزون الدين

(١) من كلام للإمام الخامنئي ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُ ألقاه في لقائه مع جمع من طلاب الجامعات، بتاريخ: ١٤٩٠/٥/١٩ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُ ألقاه في لقائه مع شوري الثورة الثقافية رئيساً وأعضاء، بتاريخ: ١٤٨٢/١٠/٢٢ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُ ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، بتاريخ: ١٤٨٤/١٠/٢٩ هـ.ش.

الإسلامي المنتج للمعرفة الإنسانية لا ينفد، وأن نظرة الإسلام إلى الإنسان، والعلم، وحياة البشر، وعالم الطبيعة، وعالم الوجود، هي نظرة تقدّم للإنسان معرفة جديدة<sup>(١)</sup>.

هكذا إذن، نرى اختلاف نظرية الدين الإسلامي إلى العلم عن نظرية العلوم الإنسانية المادّية الغربية إليه، فالإسلام يريد العلم لسعادة البشر وتطورهم وازدهارهم، ومن أجل استقرار العدل، وتحقيق الأمانيات الأساسية للبشر<sup>(٢)</sup>، بينما جاءت انطلاقات العلم في الغرب بعد صراعهم مع ما اعتقدوا أنه الدين<sup>(٢)</sup>.

لذلك، يرکز الإمام الخامنئي ذکر الله بشكل خاص على تقوية علوم المسلمين وميراثهم العلمي، ويطلب من أساتذة الحوزة، والجامعة، والعلماء العارفين بالإسلام، أن يعملوا على تقوية هذه العلوم، حيث إن مسؤولية التنظير السياسي والتنظير في كل الأمور الدخيلة في إدارة شعب وبلد في النظام الإسلامي، تقع على عاتق علماء الدين، فلا يستطيع طرح رأي الإسلام في مجال الاقتصاد، والإدارة، وقضايا الحرب والسلم، والمسائل التربوية، وغيرها من المسائل الكثيرة، إلا من كان متخصصاً في المجال الديني، عارفاً به. وإذا لم يملأ فراغ التنظير هذا، ولم يتصد علماء الدين لهذا العمل، فالنظريات الغربية، والنظريات غير الدينية، النظريات المادية؛ سوف تأخذ مكانها. فيليس هناك من نظام أو تشكيلاً يمكن أن يُدار من الفراغ، وسيأتي نظام إداري آخر، ونظام اقتصادي آخر، ونظام سياسي آخر من صنع الأذهان المادية وإعدادها، ليملأ الفراغ، كما حصل في بعض المواضع التي كان الفراغ فيها ملحوظاً<sup>(٤)</sup>.

(١) من كلام للإمام الخامنئي لله الحمد ألقاه في لقائه مع أستاذة الجامعات، بتاريخ: ٢٦/٩/١٤٨٣هـ.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي لله الحمد ألقاه في لقائه مع وزير العلوم وأستاذة جامعة طهران، بتاريخ: ١٢/١١/١٤٨٣هـ.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي حفظه الله القاء في لقاءه مع أستاذة الجامعات، بتاريخ: ١٤٨٣/٩/٢٦ هـ.

(٤) من كلام الإمام الخامنئي حفظه الله إلقاء في لقائه مع طلاب الحوزة العلمية في قم المقدسة وفضائلها وأسانتها، بتاريخ: ١٤٢٩/٩/٧ هـ.

وهناك نقاط جديرة بالاهتمام في صدد تحديد العلوم وإيجاد علوم إنسانية إسلامية، منها:

### ١- النهج الاجتهادي في الحوزات العلمية:

يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ مخزون إرث العلوم الإسلامية فيما يتعلق بإنتاج علوم إنسانية إسلامية، لا يقتصر على مصادرها، بل يشمل الأسلوب والمنهج الخاص بالاجتهداد والتفقه الديني الذي يمكن أن يفسح الطريق أمام المفكرين، ليكتشفوا الأنماط الإسلامية للعلوم الإنسانية، لذا، «إِنَّ طرِيقَةَ فَهْمِ مَعَارِفِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - أَيْ كِيفِ نَفْهُمُ الْمَطَالِبَ وَبِأَيِّ أَدْوَاتٍ - تُسَمَّى الْفَقَاهَةُ». وهذه «الفقاھة» هي أسلوب فعال وثروة عظيمة بين أيدينا، والكتاب والسنة والنّتاج الفكري للسابقين هي موادها الأولى. وعبر هذا الأسلوب ومن خلال هذه الأطر نستطيع أن نستخرج حاجات البشر كلّها، ثم نضعها بين يدي هذه البشرية التائهة... نحن بحاجة إلى الاستفادة القصوى من هذا المنهج<sup>(١)</sup>.

إنّ السير على المنهج الاجتهادي يقوّي العلوم الإسلامية والإنسانية. وتجدر الإشارة إلى أنّ الاجتهداد غير مختص بالفقه؛ بل هو مطلوب - أيضاً - في العلوم العقلية، في الفلسفة، والكلام... ومن هذا المنطلق، يجب أن نسعى إلى بحث نظرية المعرفة، والفكر الاقتصادي والسياسي الإسلامي، والمفاهيم الفقهية والقانونية، ونظام التعليم وال التربية، والمفاهيم الأخلاقية والمعنوية، وذلك من خلال المنهج الاجتهادي وحركته المتجددة<sup>(٢)</sup>.

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاء طلاب الحوزة العلمية في قم المقدسة وفضلائها وأساتذتها، بتاريخ: ١٤٢٠/١٢ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع طلاب الحوزة العلمية في قم المقدسة وفضلائها وأساتذتها، بتاريخ: ١٤٢٩/٧ هـ.ش.

## ٢- دور علم الفقه والأصول في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية:

«يجب أن يتتطور الفقه والفقاھة في الحوزات. والتتطور المقصود هو التطور بلحاظ العمق، وبلحاظ السعة وشمول قضايا الحياة... يجب أن يصبح الفقه أعمق مما هو عليه»<sup>(١)</sup>.

فمن الضروريات التي يجب أن يعني بها الفقه والفقاھة في الحوزات العلمية: فتح آفاق ومجالات جديدة في علم الفقه<sup>(٢)</sup>، والتحلي بالقدرة على تحمل الآراء الجديدة<sup>(٣)</sup>، وبحث وتنقيح جميع موضوعات الفقه التي يتطلبها تدوين قوانين إسلامية لإدارة النظام الإسلامي<sup>(٤)</sup>.

و«إن الاهتمام بـ«فقه الحكومة»، واستخراج الأحكام الإلهية في جميع شؤون الحكومة، والنظر إلى جميع الأحكام الفقهية بعين الحكومة، أي ملاحظة تأثير كل حكم من الأحكام في تأسيس المجتمع الأنماذجي والحياة الطيبة الإسلامية، هو اليوم أحد الواجبات الأساسية في مجال الفقه الإسلامي. والنظام العلمي في الحوزة هو الذي يبعث الأمل على تحققه»<sup>(٥)</sup>.

## ٣- دور علم الفلسفة في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية:

إن الفلسفة الإسلامية هي من جملة العلوم العميقة والدقيقة المنبثقة عن ثقافة الإسلام، والتي توسيّعت وقويت على يد الحكماء المسلمين العظام، وليس هناك من فلسفة شرقية أو غربية تضاهيها. لذلك، فإن تقوية الفلسفة الإسلامية ونشرها، بصفتها مبنى عميقاً ودقيقاً لمعرفة الوجود ونظرية المعرفة في العلوم، هو أحد واجبات الحوزة والجامعة<sup>(٦)</sup>.

(١) من كلام للإمام الخامنئي حفظه الله القاء في بداية درس البحث الخارج في الفقه، بتاريخ: ١/٦/١٤٢٠ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي حفظه الله القاء بتاريخ: ٩/٩/١٤٢٤ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي حفظه الله القاء، بتاريخ: ٢٠/٦/١٤٢٣ هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي حفظه الله القاء، بتاريخ: ٢٦/٨/١٤٢١ هـ.ش.

(٥) م.ن.

(٦) من كلام للإمام الخامنئي حفظه الله القاء في لقاءه مع طلاب الحوزة العلمية في قم المقدسة وفضلاً عنها وأساتذتها، بتاريخ: ٢٩/٧/١٤٢٩ هـ.ش.

كما أنّ إدخال الفلسفة الإسلامية إلى المشهد الثقافي، والسياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، وطرح الرؤى الواضحة للمديرين والمؤسسات المختلفة، لتفادي الطرق المسدودة، وشقّ الطرق الأفضل المؤدية إلى تحقيق الأهداف، وتنفيذ الأعمال على نحو أنساب، وفقاً للمبني المعرفية والفلسفية للحكمة الإسلامية، هي الرسالة المهمة التي يجب أن تؤديها الفلسفة في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية.

ومن هذا المنطلق، فإنّ النقص الذي تعانيه فلسفتنا ليس من ناحية أنها ذهنية، فالفلسفة بطبيعتها ذهنية، وهي بالطبع مرتبطة بالذهن والعقل، بل يكمن في أنّ هذه الذهنية ليس لها امتدادها السياسي والاجتماعي. فالفلسفة الغربية تحديد العمل المطلوب في كلّ قضايا حياة الناس تقريباً؛ تحديد النظام الاجتماعي، السياسي، وشكل الحكومة، وكيفية تعامل الناس بعضهم مع بعضهم الآخر، بينما تحصر فلسفتنا عموماً في إطار المفاهيم الذهنية المجردة، ولا تأخذ امتدادها... عليكم أن تعملوا على تطهير هذا الامتداد... هناك نقاط مهمة في مبنينا الفلسفية إذا ما توسيع ونعممت فسوف تخلق تيارات فياضة خارج الإطار الذهنيّ، بحيث تحديد تكليف المجتمع والحكومة، وتوضّح الطريق تجاه الاقتصاد و... عليكم أن تتبعوا هذه النقاط وتحددوها، وأن تعملوا عليها، وأن تبنوا على أساسها نظاماً فلسفياً كاملاً، حيث يمكننا أن نبني نظاماً فلسفياً، اجتماعياً، سياسياً واقتصادياً من وحدة الوجود، ومن «بساطة الحقيقة كلّ الأشياء»، من مبني الملا صدرا، وإذا لم نقل منها جميعاً، فمن الكثير منها<sup>(١)</sup>.

إنّ رصد الفلسفة الغربية واستيعابها في الفلسفة الإسلامية، هو - أيضاً - من الأدوار التي يمكن أن يتصدّى لها الفلاسفة في عملية إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

(١) من كلام للإمام الخامنئي دامَتْ لُقْلُقَةُ القَاهِ في لقائه مع نخب العلوم العقلية وفضلاً عنها في الحوزة العلمية بقم المقدسة، بتاريخ: شتاء ١٤٨٢ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي دامَتْ لُقْلُقَةُ القَاهِ في بداية درس البحث الخارج في الفقه، بتاريخ: ٦/٢١ هـ.ش.

#### ٤- معارف القرآن الكريم والتفسير:

يعتقد الإمام الخامنئي كاظم بأن الاهتمام بالقرآن الكريم واستخراج مباني العلوم الإنسانية منه، هو أحد الخطوط التوجيهية الأساسية في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية، حيث يلزم العثور على أصل العلوم الإنسانية وأساسها وركائزها من القرآن الكريم... هذا أحد الأقسام المهمة من البحوث القرآنية... يجب أن يعني بالنكات والدفائق القرآنية في مختلف المجالات، ويجب التفتيش عن مباني العلوم الإنسانية في القرآن الكريم والعثور عليها... هذا عمل أساس ومهم جدًا. وإذا حصل هذا الأمر، فسيتمكن المفكرون والباحثون وأصحاب الرأي في العلوم الإنسانية المختلفة، من تشييد الأبنية الرفيعة على هذا الأساس (القرآن) وهذه الركيزة.

طبعاً في تلك الحالة يمكنهم أن يستفيدوا من إنجازات الآخرين من الغربيين وأصحاب السبق في العلوم الإنسانية، ولكن المبني يجب أن يكون مبنياً قرانياً<sup>(١)</sup>.

#### تاسعاً: ضوابط الاستفادة من الاكتشافات العلمية للأخرين:

اتّضح مما سبق تقسيم العلوم الإنسانية إلى فئتين، من حيث تجذرها في سنتنا الإسلامية والعلمية أم عدمه. وقد اتّضح - أيضاً - التكليف تجاه الفئة الأولى المتجدّرة في السنة الإسلامية. أمّا بالنسبة للفئة الثانية التي نشأت في حضن المجتمع الغربي، فستنطّرق إليها ضمن نقاط عدّة، هي:

١- تجنب الإفراط والتفريط: تقدّم فيما سبق أنّ الآفة الأساسية التي تعاني منها العلوم الإنسانية في إيران تكمن في خطورة نفوذ الفكر التقليدي القائم على أساس التسليم المطلق لما توصل

(١) من كلام للإمام الخامنئي كاظم ألقاه في لقائه مع جمع من طالبات علوم القرآن، بتاريخ: ٢٨/٧/١٣٨٨ هـ.ش.

إليه الغربيون داخل المجتمع. ولكن يجب أن لا تأخذنا هذه الأفة إلى حافة الإفراط أو التفريط، بحيث نحرّم أنفسنا من إنجازات الغرب. فنحن لم نقل أبداً: إنه علينا أن لا نتعلم علوم الغربيين الذين قطعوا أشواطاً كبيرة من التطور في المجالات المختلفة في العلوم الإنسانية على مدى قرون عدّة، وأن لا نقرأ كتبهم... نحن نقول علينا أن لا نقلّدهم»<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المنطلق، إن طريق الخلاص من المعضلة الحالية التي تعاني منها العلوم الإنسانية يمكن في إحداث نهضة إنتاج العلم والحركة البرمجية الحرّة. وعندما نتمكن من فهم آثارهم وأعمالهم وترجمتها بشكل صحيح، يجب أن تطلق عبر التفكير الحرّ، لكي تنتقل بعدها إلى نقد هذه الآثار والأعمال وتقويمها. «فاجلسوا، وفكروا، وضعوا النظريات، واستفيدوا من العلوم المتوافرة في العالم، وأضيفوا إليها شيئاً، وأشاروا إلى أخطائها... هذه من جملة الأعمال الضرورية التي يتطلبها التطور»<sup>(٢)</sup>.

٢- الاستفادة من نتاج علمي لا يستلزم القبول بنتائجـه النهائية: يعتقد الإمام الخامنئي دام اللهم إرادته أن الأخذ بأسس علم ما، من مؤسسة خارجة عن قناعاتنا، لا يعني قبول نتائجه. فهذا يشبه دخولك إلى أحد المصانع، كان يصنع فيه شيءٌ سيئ، فتأتي أنت وتصنع فيه شيئاً جيداً... لا مشكلة في هذا أبداً»<sup>(٣)</sup>.

لا إشكال في التلقيق فيما بين العلوم الإنسانية الغربية والعلوم الإنسانية الإسلامية، وفقاً للمبني والمناهج الصحيحة؛ لا يوجد مانع أو

(١) من كلام للإمام الخامنئي دام اللهم إرادته ألقاه في لقائه مع جمع من طلاب الجامعة، بتاريخ: ١٤٩٠/٥/١٩ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي دام اللهم إرادته ألقاه في لقائه مع الأساتذة والطلاب الجامعيين في كردستان، بتاريخ: ١٤٨٨/٢/٢٧ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي دام اللهم إرادته ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة الإمام الصادق عليه السلام، بتاريخ: ١٤٨٤/١٠/٢٩ هـ.ش.

محذور في التلقيق إذا لم يقصد بالتلقيق الانجداب والانبهار والتصاغر والانجراف مع تيار تلك العلوم. ومن هنا، فإنّ عليكم في تناولكم للعلوم الإنسانية أن تبحثوا عمّا ي مليء عليكم فكركم المؤمن، وميراثكم العظيم والعميق<sup>(١)</sup>.

٣- إنتاج العلم وفق المعرفة والمباني الصحيحة: يؤكّد الإمام الخامنئي فاطمة على أهميّة مراعاة خاصيّة إنتاج العلم، وفقاً للضوابط والمباني العلمية الصحيحة. ومن هذا المنطلق، «يجب علينا أن لا نخطئ... وأنا لا أوصي أحداً بالفوضوية العلمية والانشغال بالترّهات، مهما كان مجال العمل، فعندما يحاول أشخاص غير عالمين أن يتخيّلوا أنفسهم مبدعين، سينجرون إلى قول الترّهات. وهذا ما نراه في بعض العلوم الإنسانية والمعارف الدينية، حيث ينخرط غير المؤهّلين في العمل، من دون أن يكون لديهم المخزون والعلم الكافي، ويتحدّثون، ويتخيلون أنّهم يدعون. وهذا في الواقع ليس إبداعاً، بل ترّهات. بناءً عليه، أحذركم من هذا في المجال العلمي... يجب أن نتعلم، لكن يجب أن لا نبقى مجرد مستهلكين لمنتجات الآخرين العلمية... يجب أن ننتج العلم بالمعنى الحقيقي للكلمة. طبعاً، هذا عمل يتطلّب منهجيّة وقواعد»<sup>(٢)</sup>.

٤- استمرار حركة تطوير العلم والمعرفة: يرى الإمام الخامنئي أنّ «أبواب كثير من هذه العلوم مغلقة في وجه بلدان، كبلدنا وغيرها من البلدان التي لا تملك هذه العلوم. وهم إنما يسمحون بانتقال العلم عندما يصبح قدّيماً مستهلكاً، قد فقد نضارته وحداثته.

(١) من كلام الإمام الخامنئي فاطمة ألقاه في لقاءه مع أساتذة وطلاب جامعة الإمام الصادق عليه السلام، بتاريخ: ٢٩/١٠/١٤٢٤ هـ.

(٢) من كلام الإمام الخامنئي فاطمة ألقاه في تجمع طلاب وأساتذة جامعة صنعتي أمير كبير، بتاريخ: ٩/١٢/١٤٢٩ هـ.

طبعاً، هنا سار في جميع المجالات، وهو كذلك في العلوم الإنسانية أيضاً<sup>(١)</sup>.

ولذا، يجب أن نبذل كثيراً من الجهد، كي تصلنا آخر الإنجازات العلمية، لكن من دون أن نعتبرها نهاية المطاف. كما يجب علينا أن نجتهد ونبعد في هذا المجال.

#### عاشرأ: دور المؤسسات والمراکز العلمية :

يرى الإمام الخامنئي دامَّ طَهْرَهُ أن للمؤسسات والمراکز العلمية دوراً هاماً وفعالاً في تطور العلم والمعرفة، ولا سيما العلوم الإنسانية. ويمكن استنتاج عدّة توجيهات طرحتها في هذا الصدد، منها:

تشخيص الاحتياجات والأولويات العلمية، ووضع برنامج صحيح، وإحصاء الأهداف والاحتياجات الأساسية للبلد، والسير في طريق التنمية الهدافة للتعليم العالي على أساسها: حيث يجب علينا أن نشخص الحاجات والأولويات العلمية، وندمجها في تخطيطنا التعليمي، سواءً أكان في العلوم الإنسانية، أم العلوم الأساسية، أم في الأقسام المختلفة من العلوم الاختبارية، أم في الأبحاث على اختلاف مستوياتها؛ فهناك أولويات يمكن أن تبرز من خلال البحث والتدقيق، ويجبأخذها بعين الاعتبار، وإدغامها في التخطيط. فلدينا إمكانيات محدودة وحاجات كثيرة، ويجب أن لا نسمح لأنفسنا باستثمار الفكر، والمال، والوقت، والبشر في أعمال ليس لها أولوية<sup>(٢)</sup>.

والنقطة التالية التي ينبغي الإشارة إليها هي: أن حركة تطوير التعليم العالي يجب أن تكون هادفة. فعلى مسؤولي التعليم العالي أن يحدروا جدأ

(١) من كلام للإمام الخامنئي دامَّ طَهْرَهُ ألقاه في لقائه مع الهيئة العلمية في مؤسسة الجهاد الجامعي وخبرائها، بتاريخ: ٤/٤/١٣٨٣ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي دامَّ طَهْرَهُ ألقاه في لقائه مع جمع من المتفوّفين والذين ينخبون العلمية وأساتذة الجامعات، بتاريخ: ٢/٧/١٣٨٧ هـ.ش.

من التطوير غير الهدف؛ فيجب إحصاء حاجات البلد الأساسية في مجال العلوم والتكنولوجيا، وكذلك في العلوم الإنسانية؛ لتوضع بعد ذلك خطة على أساسها...<sup>(١)</sup>.

وكذلك يجب أن يكون قبول الطلاب الجامعيين على أساس مستوى قدرتنا على إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية...<sup>(٢)</sup>.

«بناءً عليه، فالجمع الغفير من طلاب الجامعة في البلد، الذي يبلغ عدده ثلاثة ملايين ونصف...؛ يوجد بينه مليون طالباً جامعياً يدرسون العلوم الإنسانية! هذا يبعث القلق في نفس الإنسان من ناحية معينة. كم لدينا عمل أصيل أو أبحاث إسلامية في العلوم الإنسانية؟ كم لدينا كتب جاهزة في العلوم الإنسانية؟ وكم لدينا أساتذة مميزون مؤمنون بالرؤية الكونية الإسلامية، يريدون تدريس علم الاجتماع، أو علم النفس، أو الإدارة أو غيرها، بحيث تقبل هذا العدد من الطلاب في هذه الاختصاصات؟ هذا مثير للقلق»<sup>(٣)</sup>.

ولهذا يؤكد الإمام الخامنئي عليه السلام على أهمية تعزيز المناظرات العلمية والمنهجية في البلد... وإطلاق «مرحلة الإبداع والإنتاج» في العلوم والفنون والصناعات، وخاصة في اختصاصات العلوم الإنسانية، كما المعارف الإسلامية، لكي تتمهد الطريق أمام هذا العمل العظيم تدريجياً، فتحتّل جامعاتنا مرّة أخرى الصّفّ الأول في صناعة الحضارة الإسلامية، وتطوير العلوم، وإنتاج التكنولوجيا والثقافة<sup>(٤)</sup>.

١- توفير الظروف المناسبة للنخب: يؤكد الإمام الخامنئي عليه السلام على لزوم التعرّف إلى النخب واستقطابهم واحترام مكانتهم، حيث يوجد لدينا مواهب جيدة، فينبغي العمل على استطلاع المواهب

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ١٤٢٨/٦ هـ.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أعضاء شورى الثورة الثقافية، بتاريخ: ١٤٢٨/١٠ هـ.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعة، بتاريخ: ١٤٢٨/٦ هـ.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام أجاب به على رسالة من جمع من محضلي الحوزة العلمية وباحثيها، بتاريخ: ١٤٢٩/١١ هـ.

واستقطابها في الوقت المناسب، وإرشادها، وتوظيفها، وإعدادها إعداداً معنوياً صحيحاً. وهي أمور يمكن العمل عليها<sup>(١)</sup>.

- تأسيس مركز ISI إسلامي: يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أننا قد نتعرض أحياناً لمشاكل في مجال الأبحاث، وإدراج المقالات العلمية في مجلات ISI، خاصة بالنسبة للعلوم الإنسانية، حيث إن بعض مجلات ISI تمنع عن نشر مقالات باحثينا، لماذا؟ لأنها لا تتوافق مع مبانيهم... فتعالوا نفكّر في إنشاء مركز ISI إسلامي، ونتباحث مع الدول الإسلامية حول هذه النقطة. ونحن بحمد الله متطلّبون بالنسبة إلى الدول الإسلامية... طبعاً تأسيس المركز الإسلامي هذا لا يعني قطع العلاقة مع مجلات ISI في العالم؛ فنحن لا نريد تأسيس هذا المركز من أجل أنفسنا فقط، فليكن هذا المركز مرجعاً معتبراً كذلك. وكلما قمتم بهذا النوع من الأعمال أكثر، سوف يساهم هذا في تطور البلد أكثر إن شاء الله<sup>(٢)</sup>.

### خاتمة : ترتيب الأفكار:

من خلال تقديم الإمام الخامنئي عليه السلام خارطة طريق الوصول إلى حضارة إسلامية كبرى، وإلى بناء مجتمع إيران الإسلامية، والتأكيد الشديد على أهمية العلم والمعرفة، تمكّن بذلك من طرح بساط بحث أهم موضوع نهضوي علمي.

إن طرح قضية إنتاج العلم والنهضة البرمجية هذا، المستند إلى تطوير العلم، وإنتاج الثقافة والتكنولوجيا التي يحتاجها بناء حضارة إسلامية، هو أهم عامل محرك وبناء للثقافة في هذا المجال.

ويستنتج من هذا الطرح ضمناً، أن تطور المجتمع الإسلامي مرهونان

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ٢٦/٩/١٣٨٢ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع وزير العلوم ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ١٧/١٠/١٣٨٢ هـ.ش.

بنشر ثقافة العلم والإيمان، فالعلم أساس القوّة، وهو ملك البشرية جماء، والاحتكار السياسي الذي يمارسه نظام الغرب السلطوي أمر مرفوض. كما أنّ العلوم الإنسانية هي - من بين سائر العلوم - محرك الثقافة والمجتمع، لأنّها مرتبطة بفكر الإنسان، فالعلوم الإنسانية، إذن، بمثابة روح المعرفة، وهي الإطار الأهم للعلوم البشرية، ولها دور في الأحداث الحاصلة في العالم، وفي إدارة البلاد، وإعداد مديري المجتمع.

وبما أنّ هذه العلوم لها هويّتها الثقافية والتاريخية المستندة إلى حاجات المجتمع الأساسية، وتقع تحت تأثير الرؤى الكونية والقيم الحاكمة في المجتمعات التي نشأت فيها، وبما أنّ هذه العلوم دائماً في حالة تجدد وتكامل، كانت النظرة التقليدية البحتة أبرز آفة يمكن أن تصيب المجتمعات المختلفة عن المهد الغربي المنتج للعلوم الإنسانية، من الناحية الثقافية، والقيمية، والجيوبـ سياسية.

لذلك، تعدّ نهضة إنتاج العلم في العلوم الإنسانية، والحركة البرمجية في الثقافة، والتفكير الحرّ في أسس المعرفة، بمثابة الركائز الأساسية للاستقلال الثقافي والسياسي، وأهمّ مقدمة للتوصّل إلى أنموذج التطور الإسلامي، بصفته نقطة انطلاق للانقال إلى مجتمعٍ محوره العدالة والتطور.

وعليه، يجب إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية بمعناها الحقيقي مع مراعاة النقاط التالية:

- الاعتماد على الإرث الديني والعلمي المنبثق عن الإسلام والمسلمين (منهجية الاجتهدـ، الفقهـ، الفلسفةـ، و المعارف القرآنـ الكريمـ، والتفسيرـ).
- الفهم العميق، ونقد النتاجـات [الفكريةـ] البشريةـ الجديدةـ.
- إنتاج العلوم وفق منهج علميـ صحيحـ.
- عدم الانبهـارـ والتصـاغـرـ أمامـ النتاجـ العلمـيـ الغـربـيـ.

ومن هذا المنطلق، تحتاج هذه النهضة التاريخية العظيمة والنوعية، مضافاً إلى الثقة بالنفس، والهمة العالية، وقيام العلماء والمفكّرين الحوزويين والجامعيين بأدوارهم العلمية والفكيرية، إلى تجنب هدر الإمكّانات والطاقات البشرية، عبر تحديد حاجات المجتمع، وإجراء الإحصاءات العلمية الأولى، والتخطيط الصحيح المستند إلى القدرات والإمكّانات المحدودة. كما ينبغي خلق جوًّا للفكر الحرّ، وتقديم الدعم المعنوي والمادي للنخب والمنتجين وتنظيمهم، لكي تتوافر بيئـة تفتح الاستعدادات وإثمارها، بصفتها مقدمة لمستقبل مضيء يحمل بشائر الخير.

هذا، ويمكن فسح المجال أمام طباعة النتاجات والنظريات العلمية الإسلامية لعلماء العالم الإسلامي والعمل على نشرها، من خلال إنشاء مركز [لذلك] بالتعاون مع الدول الإسلامية.